دراسة الأصول الأرثوذكسية الآبائية
لكتابات الأب متى المسكين

الكتاب الأول:

تجسُّد ابن الله يسوع المسيح، العذراء والكنيسة

دير القديس أنبا مقار

سلسلة: دراسـة الأصـول الأرثوذكسـية الآبائية لكتابات الأب متى المسكين
الكتاب الأول: تجسد ابن ا   يسوع المسيح، العذراء والكنيسة
إعداد: أحـد رهبان دير القديس أنبا مقار بالتعاون مـع بعـض العلمـاء اللاهوتيـن الأكاديميـن المتخصصـين فـي آباء الكنيسة واللاهوت القبطي الأرثوذكسي.

الطبعة الأولى: 2003م.
الناشر: دير القديس أنبا مقار
مطبعة دير القديس أنبا مقار
ص. ب. 2780 القاهرة
رقـم الإيـداع في دار الكتب المصرية: 15811 / 2003

رقم الإيداع الدولي: 977-240-200-5

المحتويات

مقدمة

الباب الأول

الباب الثاني

حتى لا ننسى التاريخ

الدراسات المعاصرة الخاصة بوالدة الإله:

الكنيسة كائنٌ حي واحد، هـو "جسد المسيح" وهـو الاسم الرسولي الذي يـؤكد وحـدة جميع المؤمنين، لأنهم جميعاً "جسد المسيح الواحـد" (1كو 12:12و13). ولذلك السبب عينه تحتاج الكنيسة من وقت لآخر أن تستعيد تراثها وتسترجع الإنجازات الروحية الفائقة في حياة وكتابات الآباء الذين لا زالوا الشهود الأمناء الأحياء دائماً معنا في الليتورجية حيث نذكرهم دائماً سائلين صلواتهم(*) .

فما هو موقف الكنائس المختلفة من الرجوع لآباء الكنيسة؟

**) من الصلوات التي تؤكد شركة الآباء وحياتهم معنا كأعضاء في الكنيسة جسد المسيح "تحليل الخدام" في "القداس الإلهي"، حيث نطلب التحليل من الثالوث، ومن الرسل الاثني عشر، والقديس مار مرقس الرسول، والآباء شهود الأرثوذكسية الأمناء. وتفقد هذه الصلاة معناها إذا جال في خاطرنا أنهم أموات رقدوا وانفصلوا عنا بالموت، لأن أعضاء جسد المسيح الواحد في السماء وعلى الأرض لا يمكن للموت أن ينتزعهم من الجسد الواحد، الكنيسة، لأن الرب "بالموت داس الموت" وأبطل سلطانه "وحلّ العداوة"، وفَتَحَ طريق شجرة الحياة. هذه صرخات الإيمان في عبادتنا تدخل إلى أعماقنا حيث نتلامس مع الحي الغالب ومع أعضاء جسده الآباء والشهداء ومعلمي الإيمان.

كيف بدأ الغرب في الرجوع إلى آباء الكنيسة:

وفي الغرب حيث لا زال الحوار اللاهوتي (ساخناً) بين الكاثوليك والبروتستانت، كانت ولا تزال أرضية الطرح اللاهوتي كله تدور على ساحة التاريخ الكنسي. ما حدث في الماضي مهما كان ترتيبه التاريخي، سواء كان في القرون الأربعة الأولى، أو ما بعدها، فلا يمكن أن ننساه أو نتركه على رف من رفوف المكتبات. كان هجوم قادة الإصلاح على مكانة القديسة مريم والدة الإله يبدأ بالكتاب المقدس، حيث أصر قادة الإصلاح البروتستانتي على اكتشاف وتأكيد[*]:

- تعارُض ما جاء في لاهوت الكاثوليك في العصر الوسيط بخصوص الإفراط في تعظيم العذراء، مع الكتاب المقدس، حيث يظهر التعارض بكل وضوح بمقابلة نصوص العهد الجديد بما جاء في المؤلفات اللاهوتية التي كُتبت بعد القديس أغسطينوس (354-430م.)[1] وتفرعت من كتاباته.
- تعارُض تعليم الكاثوليك في العصر الوسيط مع ما جاء في كتابات آباء القرون الأولى مثل ذهبي الفم الذي نال مكانة خاصة في مؤلفات يوحنا كالفن مؤسس المذهب الإنجيلي المشيخي (1509-1564 م.) ، إذ ورد حوالي 5000 اقتباس من مؤلفات ذهبي الفم في المجلد الكبير الذي شرح فيه هذا المُصلح البروتستانتي العقيدة المسيحية[1] حسب مفهومه.

(*) المراجع في نهاية الفصل.

(1) The writings of Abelard (1079-1142), Albert the Great (1206-1280) and Thomas Aquinas, (1225-1274).

• وكان من الضروري أن يتم الحوار بين الطرفين الكاثوليكي والبروتستانتي على نفس الأرضية، أي كتابات آباء الكنيسة القدامى والتاريخ الكنسي، والكتاب المقدس لاسيما العهد الجديد. ونحن هنا عن عمد وضعنا الكتاب المقدس في آخر القائمة لسببٍ واحد لا يخص الحوار بين الكاثوليك والبروتستانت، وهو أن الكتاب المقدس لا يمكن دراسته بدون الكنيسة وبدون الأصول الثابتة في العبادة أو الليتورجية، وهذا ما أصبح هو نفس اتجاه أساتذة علم اللاهوت من الكاثوليك وهو أيضاً أحد أساسات الأرثوذكسية منذ القديم.

• كانت أول محاولة لاكتشاف مكانة والدة الإله في المؤلفات الكاثوليكية هـو المجلد الكبير للأب **T. Livius**[2] الذي صدر عام 1893. وفتح هذا الكتاب مجال الدراسات لأنه تزامن مع إصدار الطبعات الدولية لكتابات الآباء في مجموعتين: المجموعة الأولى هي المؤلفات اليونانية **Patrologia Greaca**، ثم مجموعة المؤلفات اللاتينية **Patrologia Latina**. وتمت بعد ذلك ترجمة معظم هذه المؤلفات إلى اللغة الإنجليزية. ثم صدرت الطبعة الدولية للآباء باللغات القديمة الأصلية: يونانية، لاتينية، سريانية، قبطية؛ مع ترجمة فرنسية[3]. وفتحت هذه الطبعات المجال للدراسات التاريخية واللاهوتية، فجاء كتاب **Hild Graef** في عام 1963 مجلداً شاملاً بكل ما نُشر عن القديسة مريم، وسبقه قبل ذلك دراسة خاصة للأب **A. Muller**[4] في الكنيسة والعذراء مريم.

• وكان اكتشاف الغِنَى اللاهوتي لمؤلفات شاعر المسيحية الأكبر **القديس مار أفرام السرياني** ونشر كل مؤلفاته في عدة طبعات بدأت بالسلسلة التي

نشرها الأب P. Bedian[5] والأب T. Lamy، وشملت هذه السلسلة تحقيق أكبر عدد ممكن من مؤلفات شاعر المسيحية الثاني **القديس يعقوب السروجي**.

الوثائق العقائدية الكاثوليكية وبدء رجوعها لآباء الكنيسة:

لكن أهم ما جاء من روما الوثيقة العقائدية الخاصة بالكنيسة في 21 نوفمبر 1964، وهي من أهم المدونات اللاهوتية التي أصدرها البابا بولس السادس عن "سر الكنيسة". وجاء الفصل الثامن بعنوان: "القديسة مريم والدة الإله في سر المسيح والكنيسة"، استعادةً لكل ما كتبه الآباء وبشكل خاص القديس أمبروسيوس. جاءت هذه الوثيقة لتفتح مجال الدراسات مرة ثانية لتُعيد النظر في عقيدة الكاثوليك بالإفراط في تعظيم العذراء مريم من خلال كتابات كاثوليكية سابقة صدرت قبل ذلك (مثـل كتاب: "أمجاد مـريم البتـول" للأب Alphonsus Ligouri وهو أحد مؤسسي رهبنة Redemptionists - وُلِد في 27 سبتمبر 1696). ويجب أن نذكر هنا كتاب البابا يوحنا بولس الثاني: "والدة الإله، أم وتلميذة"، صدر عام 1999. وغيرها من الدراسات الجيدة التي تخص تراثنا الأرثوذكسي لاسيما دراسات الأستاذ S. Brock مدرس وأستاذ كرسي الدراسات السامية في جامعة أوكسفورد التي خُصصت لمكانة القديسة مريم في المؤلفات السريانية لشعراء الكنيسة العظام مار أفرام ويعقوب السروجي، والتي لا تزال مجهولة عندنا.

ثم أخيراً جاءت دراسة الأستاذ الأرثوذكسي السابق بجامعة هارفارد

Jaroslav Pelikan (انضم إلى الكنيسة الأرثوذكسية في عام 1988) بعنوان: "القديسة مريم عَبْر العصور".

***

وهنا يجب أن نذكر اعترافاً بالفضل لأول كتاب عن والدة الإله للأب متى المسكين: "***القديسة العذراء مريم ثيئوتوكس***"، وهو جزء من نسيج كامـ ـل متصل بـ ـالمؤلفات الأخـ ـرى: "***الكنيسة الخالدة***"، "***العنصرة***"، "***أعياد الظهور الإلهي***"، "***الباراكليت***"، وغيرها من مقالات ودراسات تمثل حلقة متكاملة أعادت إلينا مصطلحات وكلمات وكتابات وروح الآباء، وبشكل خاص ليس فقط مكانة والدة الإله، بل وأيضاً والدة الإله "أيقونة الخلاص" و"الخورس السمائي" الذي اتحد فيه اللاهوت بالإنسانية أي "الطبيعة الإنسانية".

وقد أعادت إلينا كتابات الأب متى المسكين **الجانب المستيكي Mystical** من الإيمان المسيحي، هذا الجانب الذي دُفن تماماً في المؤلفات العربية المسيحية التي كُتبت للدفاع عن العقيدة، والتي لجأ فيها المدافعون، بدلاً من ذلك، وابتداءً من الأسقف العالم ساويروس ابن المقفع (القرن العاشر)، إلى الأدلة العقلية لشرح الإيمان ضد الهجوم العنيف الذي شنه غير المسيحيين. ثم استمرت الأعمال الدفاعية في مصر بواسطة المدافعين ضد هجوم الإرساليات الغربية، وهو هجوم حاد وعنيف دام طوال القرنين التاسع عشر والعشرين، وهدأ قليلاً تحت ضغط الحوار المسكوني الذي لا زال في حاجة إلى تقييم. وفي خِضَمّ هذه المجهودات التي اتسمت بالأسانيد العقلية، ضاعت في هذه الحقبة الممتدة من القرن العاشر حتى منتصف

القرن العشرين عدة موضوعات هامة تمثل أساسات الأرثوذكسية الثابتة التي بُني عليها كل بناء الكنيسة الأرثوذكسية، وهي:

أولاً: العقيدة الأرثوذكسية ككل.

ثانياً: الحياة الليتورجية والسرائر الكنسية.

ثالثاً: استيعاب مستويات الإعلانات الإلهية في الكتاب المقدس من الرموز والظلال في العهد القديم إلى الحقائق الإنجيلية في العهد الجديد، ودور هذه الإعلانات في الشهادة **أولاً: لمكانة عقيدة الثالوث؛ وثانياً: تجسد وصَلْب وموت ابن ا وقيامته؛ ثالثاً: سُكنى الروح القدس في الكنيسة وفي المؤمنين؛ رابعاً: مكانة الخليقة الجديدة في يسوع المسيح**.

***

ثم جاءت **كتابات الأب متى المسكين** لكي تفتح طريقاً جديداً غير مسلوك في كتاباتنا العربية، ولذلك بَدَت للبعض كما لو كانت غريبة، أقول "للبعض" الذي لم يدرك أن العقيدة الأرثوذكسية يجب أن تُفهم من خلال:

1. **الخبرة الليتورجية،**
2. وكذلك من خلال **تذوق الجانب السري الميستيكي Mystical** في الإنجيل النابع من **الخبرة والاختبار النُسكيين**.

***

ولعل ما تواجهه الكنيسة القبطية في العصر الحديث هو مأزق فريد في نوعه يحتاج إلى إبرازه بكل جوانبه فهو:

أولاً: فالكنيسة القبطية لم تسترد تراثها اليوناني - القبطي والعربي إلى

الآن. والدليل على ذلك هو عدم وجود ترجمات عربية كاملة لمؤلفات آباء كنيسة الإسكندرية، وعدم وجود النص القبطي للكتاب المقدس بعهديه رغم أنه طُبع في روما وأكسفورد منذ حوالي 100 سنة. فالحوار اللاهوتي داخل الكنيسة الآن يعتمد على ما وصلنا من تراث ناقص غاب عنه **القديس أثناسيوس الرسولي والقديس كيرلس عمود الدين**، وبالتالي صار يعتمد بالضرورة على حدود معرفة الذين يشتركون في الحوار.

ثانياً: في أوائل القرن العشرين ظهرت كتابات علماء اللاهوت اليونان والروس وغيرهم من علماء الكنيسة الأرثوذكسية البيزنطية باللغات الأوروبية الحديثة، وهي مؤلفات مقبولة وتُدرس في معاهد اللاهوت الأرثوذكسية في خالكي (تركيا) – أثينا (اليونان) – باريس (فرنسا) – نيويورك (الولايات المتحدة) – البلمند (لبنان)، وغيرها في رومانيا وبلغاريا وفنلندا... الخ. وكانت مثل كوب ماء في يوم حار بل شديد الحرارة. وقد ظهرت **موازية بكل ما فيها من زخم لمؤلفات الأب متى المسكين** الذي بدأ يكتب في منتصف القرن العشرين، لتؤكد:

أولاً: وحدة الإيمان،

ثانياً: ضرورة العودة للمصادر الآبائية.

***

أخيراً، ماذا يجب أن نقوله تحية للأب متى المسكين رائد مسيرة النهضة الأرثوذكسية وأول مَن سار وحده ليفتح لنا طريق استرداد التراث وقدم بذلك دمه وحياته لنا ضحية مقدسة وذبيحة محبة لكنيسة الآباء الأماجد.

المراجع التي أشرنا إليها:

1. **John Calvin, *Institutes of the Chri*stian Religion, 1535.**
2. **T. Livius, The Blessed Virgin In the Fathers of the First Six Centuries, 1898.**
3. **Hild Graef, Mary: A History of Doctrine and Devotion, 1964.**
4. **A. Muller, Ecclesia – Maria, 1955.**

مؤلَّفات مار أفرام السرياني ومار يعقوب:

1. **P. Bedian, *Homilliae Selectea Mar Jacobi,* 1905-1910.**
2. **T. Lamy, *S. Ephraemi Syri Hymni et Sermones,* 1882-1902.**
3. **J. Pelikan, *Mary Through the Centuries,* 1998.**

الدراسات الكاثوليكية العالمية:

1. **J. Ratzinger, *Mary, God's Yes to Man.* Pope John Paul II, Encyclical Letter, *Mother and Redeemer,* 1988.**
2. **Pope John Paul II, *Theotokos, Mother and Disciple,* 1999.**
3. **Luigi Gambero, *The Blessed Virgin Mary in Patristic Thought,* 1991.**

الدراسات الخاصة بوالدة الإله والأبحاث التي نُشرت في الدوريات:

1. S. Brock, *Mary and the Eucharist*, Sobornost, 1:2, 1979, pp. 50-59.
2. S. Brock, *The Mysteries Hidden in the Side of Christ*, Sobornost, 7:6, 1978, pp. 469-70.
3. R. Murray, *Mary the Second Eve in the Early Syriac Fathers*, Eastern Church Review 3:4, 1971, pp. 322-384.

البَابُ الأَوَّل

والدة الإله في التسبحة السنوية

الفصل الأول

الحس الكنسي الأرثوذكسي وفهم سر التجسُّد

قبل أن نضع أمام القارئ نصوص آباء الكنيسة، يجب أن نضع نصوص الليتورجية، وبشكل خاص التسبحة السنوية؛ ذلك أن صلوات الكنيسة هي اعتراف بالإيمان ويحتوي على:

• إعلانات النعمة التي أُعطيت لنا في المسيح وحقيقة مكانة الإنسان في يسوع المسيح ربنا.

• إعلانات عن الممارسة نفسها، أي ما يُوهب من ا   وما يُعطَى لنا في السرائر الكنسية وبشكل خاص "سر الأسرار" الإفخارستيا، جسد ودم عمانوئيل إلهنا.

وسوف يرى القارئ أن النصوص التي نرتلها في صلواتنا هي من تسليم الآباء الرسل ومعلمي الكنيسة، وأنها كلها نابعة من إعلانات الروح القدس في الأسفار المقدسة الموحَى بها من ا .

✠ ✠ ✠

والآن، **ماذا تقول الليتورجية عن والدة الإله؟ ولماذا تظهر والدة الإله في صلواتنا، في التسبحة والقداسات وسائر الممارسات الكنسية**؟ سوف تجيب هذه الصلوات نفسها عن هذين السؤالين فهي تصف العذراء بأنها:

- الأم العروس.
- جبل صهيون الذي حل فيه الرب.
- مريم جلبت لنا الحرية الأبدية.
- المنارة الذهب.
- مدينة أورشليم، مدينة إلهنا.
- مركبة الشاروبيم.
- القبة التي صنعها موسى.
- تابوت العهد.
- قسط المنّ.
- المنارة ذات السرج السبعة.
- المجمرة النقية.
- عصا هارون.
- مرتفعة أكثر من الشاروبيم ومُكرمة أكثر من السرافيم.
- الحمامة الحسنة.

(هذه ألقاب وأوصاف في قطعة واحدة هي إبصالية يوم الأحد).

وهنا يبرز السؤال: **هل هذا تكريم فائق ضخم، أم وراء هذا التكريم أسباب أخرى تؤكدها الإبصالية نفسها؟** نظرة متأنية على هذه العبارات تؤكد لنا حسب نص الإبصالية نفسه أننا أمام حدث فائق:

[الساكن في النور الذي لا يُدنى منه، أظهر آياته وأَرْضَعْتِه.

لقد تجسد الإله غير المنظور والمحجوب عن أعين بني البشر، ورضع اللبن من أمه.]

هذه العلاقة الفريدة جداً، هي التي تجعل الإبصالية تقول لنا عن والدة الإله:

[كل الأسماء العالية التي لغير المتجسدين لم يبلغوا إلى علو طوباويتك.

مرتفعة أنتِ جداً أكثر من الشاروبيم ومُكرمة أكثر من السارافيم].

لقد اتحد ابن ا بالطبيعة الإنسانية في بطن العذراء، وهذا هو السبب الذي جعل والدة الإله أعظم بكثير من كل الرتب السماوية بما فيها الشاروبيم والسارافيم الذين يحملون العرش الإلهي.

ولهذا السبب تبدأ الإبصالية بالاعتراف الحسن بالإيمان الأرثوذكسي:

[آمنتُ لذلك تكلمتُ بقوة من أجل عِظَم رحمتك يا رب القوات].

فليس هناك رحمة أعظم من رحمة ربنا يسوع الذي **تنازل وصار كواحد منا**، حتى أن أُمه صارت "صهيون مدينة ا "، وصارت حسب نص الإبصالية:

[هذه هي أورشليم مدينة إلهنا، المدينة التي يجتمع فيها مع شعبه في الهيكل].

ولذلك السبب أي **<u>من أجل اجتماع ا مع شعبه</u>** في أورشليم؛ وفي "القبة" الجديدة أي قدس الأقداس؛ ومن على تابوت العهد حيث "كرسي

الرحمة"؛ ومن نور المنارة ذات السرُج السبعة؛ ومن قسط المنّ، يُعلِن لنا الابن ذاته، فهو إلهنا، وهو النور، وهو المنّ الحقيقي، وهو كرسي الرحمة. فقد **تضاءلت الرموز أمام الحقيقة الأكبر،** ولذلك هي كلها معاً وليس أي واحد منها بمفرده، تؤكد لنا **حقيقة مجيء ا إلينا حسب الإيمان الأرثوذكسي متجسداً،** ولذلك:

[مريم التي جلبت لنا الحرية الأبدية].

[مريم بالحقيقة بهجة الصديقين وفرح المؤمنين].

وإذا انتقلنا إلى ثيئوطوكية الأحد، تقول لنا الصلاة:

[شَبهوكِ يا مريم العذراء القبة الحقيقية التي داخلها ا ... أيتها المدينة المقدسة التي للملك العظيم،

أنتِ يا مريم متسربلة بمجد اللاهوت داخلاً وخارجاً].

***

والآن يجب أن نسأل سؤالاً هاماً:

هل نحن أمام حَدَثٍ تمّ وانتهى وأصبح مجرد ذاكرة في فكر الكنيسة وفي داخل كتب التاريخ؟ هل نحن نجتمع من أجل ذكرى ما حدث؟ أم أن هناك أسباباً أخرى؟

تقول ثيئوطوكية الأحد:

[أنتِ قسط الذهب النقي المخفي المنّ في وسطه، خبز الحياة الذي نزل من السماء وأعطى الحياة للعالم.

أنتِ يا مريم حملتِ في بطنكِ المنّ العقلي الذي أتى من الآب.

وولدتِهِ بغير دنس وأعطانا جسده ودمه الكريمين، فحيينا إلى الأبد].

واضح أننا نقترب الآن من خلال كل هذا، من أحد غايات تجسد ابن ا ، وهو لا يكتفي بما حدث في الماضي بل يشرح ما يحدث أمام عيوننا وما نجتمع لأجله في "مدينة ا "، والعلاقة بين التجسد والإفخارستيا ليست علاقة فكرية فقط في فكر الكنيسة بل علاقة حقيقية تُختبر لأن:

[قسط الذهب المخفي فيه المنّ، هوذا كلمة الآب أتى وتجسد منكِ.

من قِبَل مريم ابنة يواقيم عرفنا الذبيحة الحقيقية لمغفرة الخطايا].

ولذلك تقول الثيئوطوكية بعد ذلك:

[شبهوا المائدة الذهبية بالمذبح، وخبز التقدمة بجسد الرب.

من قِبَل مريم ابنة يواقيم عرفنا الذبيحة الحقيقية لمغفرة الخطايا].

وهنا لم تَعُد مريم مجرد شاهد على التجسد مع أنها هي فعلاً شاهد، بل هي أيضاً نقطة أو **مكان التقاء اللاهوت بالناسوت،** ولذلك تقول ثيئوطوكية الأربعاء: "يا مدينة ا لأنكِ أنت **مسكن جميع الفرحين**"، وبعد ذلك تشرح الصلاة معنى "مسكن جميع الفرحين":

[السلام للفردوس الناطق للمسيح الذي صار آدم الثاني من أجل آدم الإنسان الأول.

السلام لمعمل **piergacthrion** الاتحاد غير المفترق الذي للطبائع

التي أتت معاً إلى موضع واحد بغير اختلاط].

وكلمة "**المعمل**" كلمة يونانية قديمة معروفة في الأدب اليوناني القديم، استخدمها القديس إبيفانيوس أسقف قبرص في وصف تجسد ابن ا وكتب يقول: "بسبب التجسد صار رحم مريم هو المعمل."[2]

وعند كليمندس الإسكندري بطن المرأة هو المعمل الذي تولد منه الحياة[3]. ومن هنا ننتقل إلى مستوى آخر:

الكنيسة هي "اجتماع" الطبيعتين معاً[4]:

إن الكنيسة **وُلدت أولاً من اجتماع ا مع شعبه في العهد القديم،**[5] (حسبما ذكرت دراسة الأب متى المسكين في أول كتاب عربي أرثوذكسي كُتب عن الكنيسة وهو **"الكنيسة الخالدة"**). وهذا واضح من ثلاثة نصوص معروفة لنا في العهد الجديد:

✦ «هذا هو موسى الذي قال لبني إسرائيل ... هذا هو الذي كان في البرية، مع الملاك...» (أع 7: 37و38)

---

(2) ***Anc.*** **40; PG 43:88 D.**

(3) ***Sermo*** **3: 12; PG 8:1184 C.**

(4) إن مجيء "الطبائع" معاً (وبصيغة الجمع، لأن صيغة "المثنى" ليست معروفة في اللغة المصرية القديمة ولا في اللغة القبطية)، يُمثل فكرة "اجتماع الطبائع معاً" التي هي التجسد ثم الكنيسة.

(5) وهو موضوع لم تتطرق إليه الكتابات العربية المسيحية إلا من خلال إعادة شرح الرموز والظلال.

✦ «لستُ أريد أيها الإخوة أن تجهلوا أن آباءنا جميعهم كانوا تحت السحابة... كانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم، والصخرة كانت المسيح.» (1كو10: 1-4)

✦ والإصحاح الحادي عشر كله وبداية الإصحاح الثاني عشر من الرسالة إلى العبرانيين. والأسماء كلها من العهد القديم، وبعد ذلك يقول الرسول: «لذلك نحن أيضاً إذ لنا سحابة من الشهود مقدار هذه محيطة بنا...» (عب 12: 1)

والذي يعرف ترتيب قراءات الكنيسة خلال السنة الليتورجية عليه أن يتذكر لماذا تحتفل الكنيسة بأعياد **قديسي العهد القديم** بإقامة القداسات، تماماً كما تحتفل بأعياد **الرتب الملائكية**، جنباً إلى جنب مع أعياد **قديسي وشهداء ومعلمي الإيمان المسيحي**، لأن "**الحس الكنسي**" الأرثوذكسي يدرك أن تجسد ربنا يسوع المسيح هو:

● «لتدبير[(6)] ملء الأزمنة، **ليجمع** كل شيء في المسيح، **ما في السموات وما على الأرض في ذاك** الذي فيه أيضاً نلنا نصيباً، مُعينين سابقاً حسب قصد الذي يعمل كل شيء حسب رأي مشيئته.» (أف 1: 10-11)

فقد جاء **الرأس** الذي أعلن عن ذاته "بطرق متنوعة" (عب 1: 1-3)، **وجمع كل الأشياء** تحت سيادته وسلطانه: «دُفع إلي كل سلطان **في السماء**

---

(6) حسب الترجمة القبطية: «الذي أعلن لنا سر إرادته حسب مسرة قصده الذي سبق فأسسه فيه **vai etafer]orp `ncemnhtf `n'htf**، لتدبير ملء الأزمنة لكي يكمل كل الأشياء في المسيح «**« ejek \wb niben 'en Pxc?**»

The Coptic Version of the NT, **Oxford, 1905, p. 342.**

وعلى الأرض.» (مت 28: 18).

ولقد استخدم الآباء عدة كلمات يونانية دخلت لغة كل الكنائس الشرقية القبطية والسريانية والأرمنية ولغة كنيسة روما اللاتينية للتعبير عن هذه الحقيقة وهي **الإجتماع**، ولكن انعدام الكلام باللغة اليونانية في الشرق وبقاء معظم كتب الآباء محصوراً في المجلدات اليونانية خارج الشرق، حيث تحققت سيادة اللغة العربية بعد القرن العاشر؛ كل هذا جاء بفترة من الجمود الفكري وانعدام **الحس الكنسي** بحقيقة الكنيسة أنها **اجتماع ا مع شعبه.**

ولذلك تعودنا أن نقول ونعلم (ولكن في أضعف صيغة لاهوتية عربية) أن الكنيسة هي "جماعة المؤمنين"، بينما هي "الجامعة الرسولية"؛ وهذا يعني أن إحساسنا الروحي بالمبدأ اللاهوتي الرسولي وهو "**الاجتماع**" قد ضَعُفَ.

***

لذلك سنزيد في الفصل القادم إلقاء الضوء على **الكنيسة كاجتماع ا مع شعبه في المسيح**.

الفصل الثاني

اجتماع الله مع شعبه في المسيح

الفعل اليوناني **sunodeuw** يشرح الشركة في الحركة وفي مصاحبة إنسان آخر في السفَر، ومنه جاءت الكلمة **sunodikoj** أي مجمع[7]. ولذلك يُسمى **اتحاد الطبيعتين** في المسيح "اجتماع الطبائع"[8].

وفي العهد الجديد يعني رفيق السفر (أع 9: 7) أو الجماعة معاً (أع 13: 31)، حيث يظهر الفعل والاسم معاً. ولذلك تُسمى الكنيسة "**الجماعة**" حسب الأصل اليوناني لأنها **تجتمع مع قوة ربنا يسوع المسيح** (1كو 5: 4).

ولذلك قال الرب يسوع: «مَن لا **يجمع** معي **sun£gwn met' ™moà**» (مت 12: 30-31)، ولهذا السبب كان مجيء الرب «**ليجمع أبناء ا المتفرقين إلى واحد** **sunag£gV e„j ›n**» (يو 11: 52).

ويشرح القديس كيرلس الإسكندري هذه الكلمات الإلهية ويقول:

[كانت لنا الكرامة الأولى عندما خُلقنا حسب صورة ا ، وأُعطينا السلطان الفائق على كل الأشياء التي على الأرض، وحُسبنا

---

(7) القديس غريغوريوس اللاهوتي: رسالة 101 - مجلد 37: 177.

(8) القديس غريغوريوس اللاهوتي: مقالة 30: 8 - مجلد 36: 113؛ والقديس كيرلس الإسكندري: الفصل الثالث ضد نسطور المعروف باسم "الحرومات" في كنائس الغرب - شرح إنجيل يوحنا 2:12-2:4-11: 11.

مستحقين للعهد الإلهي ولفرح الحياة الطوباوية في الفردوس. لكن الشيطان – إذ أراد أن لا نبقى في هذه السعادة - فرقنا بوسائل متنوعة وقاد البشر إلى ضلالٍ وإلى الابتعاد عن ا ، ولكن المسيح "جمعنا معاً" مـرة ثانية وأدخلنا في الإيمان، وجعلنا قطيعاً واحداً أي الكنيسة، ووحدنا تحت نير واحد، وجعل الكل واحداً: اليهود والأمم، لأننا خُلِقنا من جديد: الإنسان الواحد (أف 2:15) لكي نعبد الإله الواحد.](9)

وهنا تُبرز ثيئوطوكية الجمعة هذا الإيمان:

[مباركة أنت يا مريم ومباركة ثمرتكِ،

أيتها العذراء أم ا فخر البتولية،

الكائن قبل الدهور أتى وتجسد منكِ.

عتيقُ الأيام خرج من بطنكِ،

هو أخذ جسدنا وأعطانا روحه القدوس،

وجعلنا واحداً معه من قِبَل صلاحه].

وهنا يجب أن نتوقف عند هذه الأعجوبة السمائية الفائقة:

[ليس مَن يُشبهكِ يا مريم العذراء.

---

(9) شرح يوحنا 11: 52، الكتاب السابع، راجع الترجمة الإنجليزية: المجلد الثاني، ص 134.

الملائكة تُكرمكِ، والسارافيم تُمجدكِ
الكائن قبل الدهور أتى وتجسد منكِ.
لأن الذي على الشاروبيم أتى وتجسد منكِ،
حتى **اتحدنا به** من قِبَل صلاحه].
(ثيئوطوكية الجمعة)

فكيف يحدث هذا **"الاجتماع"؟** وهل هو مثل اجتماع الأندية والمحافل وغيرها من المنظمات الاجتماعية؟ أم أن الأمر غير ذلك تماماً وعلى وجه الإطلاق؟ والجواب، هو **أن الإنسان دخل في شركة جديدة أساسها في الأزل في تدبير ا   - الثالوث - السابق على خلق العالم:** «كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم...» (أف 1: 4)

اجتماع اللاهوت بالناسوت حسب مثال العلَّيقة:

عندما كتب الأب متى المسكين: "**نحن أمام "عُليقة مشتعلة بالنار" حسب الرمز، أو طبيعة إلهية متحدة بطبيعة بشرية حسب شرح الرمز أو صورة النبوة بميلاد المسيح من العذراء كما تسلمنا من التقليد الشريف!!**"[10]، وغيرها من عبارات، **فقد أعاد إلينا التسليم القديم حيث ينفرد الأقباط والإثيوبيون بعدم الدخول إلى الهياكل إلا حفاة.** وهو تسليم قديم ذكره يوحنا كاسيان في معرض ما كتبه عن زيارة الإسقيط. وحين كنا نزور الأديرة كنا نسمع من شيوخ الرهبان عدة تفاسير عن ضرورة

(10) كتاب: "*العنصرة*"، (الطبعة الأولى 1960) الطبعة الثالثة 2002، ص 24.

دخولنا الكنيسة في الدير حُفاة، كلها في اتجاه واحد تقول لنا إن المذبح "دُشن بالميرون"، وإن ا قال لموسى: «اخلع حذاءك من رجليك، لأن الموضع الذي أنت واقفٌ عليه أرض مقدسة» (خر 3: 5).

وجاء الأب متى المسكين لكي يُذكرنا بأن ما حدث في ميلاد الرب حسب مثال العُليقة هو خاص أيضاً **بالكنيسة** وليس فقط بالعذراء والدة الإله وحدها. جاء هذا من **"الحسّ الروحي الأرثوذكسي"** ومن تراث وتسليم قديم يعود إلى العصر الرسولي سُلم لنا. ثم جاءت عصور التدمير وخراب الكنائس، وضاع هذا **"الحسّ الروحي الأرثوذكسي".** إلا أنه مع كل ذلك ظلت ذاكرة الكنيسة حية بفضل "الممارسة الليتورجية"، وأصبح يُطلق إسم: "بيت لحم" على "بيت القربان"،و "الأردن" على "جرن المعمودية"، و"الجلجثة" و " وقدس الأقداس" و "هيكل ا الآب" ... الخ على "الكنيسة". هذه "طُوبوغرافية" الملكوت حيث تصبح الكنيسة هي فردوس ا . ثم جاء كتاب **"الكنيسة الخالدة"** لكي يضع لمسات التراث الكنسي، **لكي يوقظ الذاكرة ويُحيي الحس الروحي الأرثوذكسي.**

العُلّيقة المشتعلة بالنار:

كان **الشهيد يوستينوس** (حوالي سنة 150م) هو أول من أشار إلى العُليقة في الدفاع الأول (فقرة 52-58)، وقال:

> [تحدث مسيحنا **our Christ** معه (مع موسى) في النار المشتعلة في العُليقة... وأخذ (موسى) قوة من المسيح الذي تكلم معه في شكل النار المشتعلة].

وفي الفقرات التي تلي ذلك (فقرة 63) تحدث يوستينوس عن إعلان الابن عن ذاته وتجسده، وفي بقية الدفاع الأول نجد التواصُل عن إعلان الابن عن ذاته، مع سري المعمودية والإفخارستيا، فدون بذلك - بشكل واضح - التسليم الكامل الذي يؤكد لنا إعلان الابن عن نفسه من خلال الظلال والرموز في العهد القديم.

ومما هو جديرٌ بالذكر أن التقليد الشائع في القرن الخامس قبل الميلاد وبعد ذلك[11]، يقول أن ظهور "ملاك الرب" يؤكد لنا أن كلمة "ملاك" تعني أصلاً "رسول"، وهو الاسم الذي استُخدم للرب يسوع «رسول اعترافنا» (عب 3: 1) (وإن كان يعني أيضاً رتبة سمائية من رُتب القوات السمائية). وهكذا استقر في تراثنا الكنسي، منذ القرن الثاني، لتدخل في قلب الليتورجية والقداس ظهورات الرب في العهد القديم، باعتبارها رموزاً للعذراء مريم والدة الإله التي حملت نار اللاهوت، أما في العهد الجديد فلم يُعلن الابن - له المجد - ذاته في صورة أو رمز بل **بالحقيقة** تجسد وتأنس ووُلِد من القديسة العذراء مريم.

هذا يضعنا أمام سؤال هام ذي دلالة بالغة الأهمية، وهو:

هل يجوز لنا أن نستخدم الرمز أو الرموز الخاصة بإعلان ا الابن عن ذاته لتُطلَق على والدة الإله، ثم على الكنيسة، ثم الأسرار؟

---

(11) وهي الفترة التي صارت فيها اللغة الأرامية لغة الإمبراطورية الفارسية وتُرجمت فيها أسفار العهد القديم إلى الأرامية، وأصبحت تُسمى باسم: **Targum** وأشهرها **Jerusalem Targum** وقد تُرجمت إلى اللغة الإنجليزية ونشرها **(J. W. Etheridge)**.

والجواب يجب أن يسبقه سؤال آخر أهم وهو: **ما هي الأسباب التي تجعلنا نستخدم رمزاً للرب، ثم نعيد استخدامه لوالدة الإله، ثم بعد ذلك للكنيسة؟**

والجواب هو: **شركتنا في كل خيرات الابن وفي ميراثه**، فقد صار هو **"البكر بين إخوة كثيرين"** (رو 8: 29). ولذلك يقول الرسول بولس: «فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضاً كذلك فيهما، لكي يُبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت» (عب 2: 14)، وأيضاً صار الرب بسبب تجسده "بكراً بين إخوة كثيرين"، ويقول الرسول قبل هذه الآية «لأن المُقدس والمُقدسين جميعهم من واحد، فلهذا السبب لا يستحي أن يدعوهم إخوة...» (عب 2: 11 وما بعدها).

وهذا يضعنا أمام خيارين لا ثالث لهما:

إما الخيار الأول (وهو المسيحي الأرثوذكسي): المسيح يسوع ربنا إله متجسد شاركنا اللحم والدم لكي **ننال فيه وبه نعمة التبني وميراث الملكوت ومعها سائر العطايا الأخرى.**

وإما الخيار الثاني (وهو الأريوسي الجاحد للاهوت المسيح): المسيح يسوع إنسانٌ مخلوق مثلنا شاركنا اللحم والدم، **فلا توجد بيننا وبينه سوى رابطة اللحم والدم.**

وهكذا فحسب التاريخ الكنسي يكون **الخيار الأول** هو الأرثوذكسية، وأما **الخيار الثاني** فهو الأريوسية التي لم تتورع عن استخدام مجازي لألقاب "الرب" و"الإله" وغيرها لكي تؤكد أن الابن مخلوق مثل باقي المخلوقات.

المفتاح الرئيسي للأرثوذكسية هو **الإيمان بشخص المخاص قبل تفسير**

الرموز، مهما كانت، لأن التجسد يفوق كل رموز العهد القديم ولا يوجد رمز واحد يستطيع أن يُعلن لنا في وضوح كافٍ اتحاد اللاهوت بالناسوت في الرب الواحد يسوع المسيح. وهذا هو التسليم الذي نطالعه في التسبحة السنوية وبشكل خاص في **ثيئوطوكية الأحد**، حيث تضعنا الكنيسة أمام سر تجسد الابن الوحيد وتجعل: "التابوت المصفح بالذهب، سبق أن دلنا على ا   الكلمة... الذهب هو اللاهوت، الخشب الذي لا يُسوّس هو الناسوت الذي لم يفسد"، ونفس هذا الوصف هو حسب شرح أبينا القديس كيرلس عمود الدين (شرح تجسد الابن الوحيد - مجلد 75: 1380).

وبعد ذلك مباشرة تقول نفس القطعة:

[صنعوا تابوتاً من ذهب لا يُسوّس وصفحوه بالذهب داخلاً وخارجاً.

أنتِ يا مريم العذراء متسربلة بمجد اللاهوت داخلاً وخارجاً].

وإذا حاولنا أن نَقْصِر ونخصص ذلك لوالدة الإله وحدها، ثم الرب يسوع وحده (دون الكنيسة والمؤمنين)، فإن كل الممارسات الليتورجية تنهار ابتداءً من المعمودية والميرون والإفخارستيا حتى سر الكهنوت نفسه تصير بلا فاعلية، لأننا سنجد أنفسنا، إما أننا أمام إعلان إلهي عن نعمة فائقة تفوق كل الرموز، وإما أمام هبات فائقة يمتنع على المؤمنين اقتناؤها، وهكذا نبقى حسب العبادة الرمزية الباطلة التي أُبطلت في المسيح، لأنها العهد الزائـل ولأنها كما قال الرسول بجسارة المسيح نفسه "خدمة الموت" (2كو 3: 7).

هنا يجب أن نقف لنسأل:

هل ما قيل عن والدة الإله يمتتع على المؤمنين أي الكنيسة؟

والجواب هو كما جاء في التسبحة السنوية:

[من قِبَل مريم ابنة يواقيم عرفنا الذبيحة الحقيقية، لما رآها المعلمون المختارون للكتب المقدسة تعجبوا جداً.

وفكروا بفهمهم السامي وفسروها من الكتب المقدسة.]

(ثيئوطوكية الأحد)

وفي ثيئوطوكية السبت:

[السلام للممتلئة نعمة، المائدة الروحية التي تعطي الحياة لكل مَن يأكل منها].

وفي "لبش" - أي ختام ثيئوطوكية السبت - يقول:

[والروح القدس ملأ كل موضع فيكِ، نفسكِ وجسدكِ، يا أُم الله].

هذا الروح عينه نلناه نحن البشر بسبب العذراء:

[من أجلكِ (أو بسببكِ) أيضاً صرنا مسكناً للروح القدس، هذا الذي حل عليكِ وقدسكِ].

أي أن ما قيل عن وما حل على والدة الإله حل على المؤمنين أيضاً.

فالصلوات تؤكد التسليم، وأساس التسليم هو أننا نصلي في المكان الذي سوف نأكل فيه من شجرة الحياة، وهو ذات المكان الذي فيه المائدة الروحية وقسط المنّ، وكل هذه الرموز تقربنا من السر الفائق، أي تجسد ابن الله، الذي

حدث فعلاً وأخذنا منه هبة الحياة والشركة في حياة أقانيم الثالوث.

الفصل الثالث

العلّيقة، والعذراء الأُم، والكنيسة

ثم نأتي إلى رمز **العُليقة**.

قبل أن نسأل عن العلاقة بين **الرمز "العليقة" ووالدة الإله والكنيسة،** يجب أن ندرك هذه الحقائق:

أولاً: لا يذكر الكتاب المقدس بعهديه أن العليقة المشتعلة بالنار هي رمز لتجسد ابن ا . ولكن تفسير الرمز ليس اختراعاً ولا هي فكرة طرأت على بال شخص أو أكثر بل هي **حقيقة تعلو على الرمز،** وتعود إلى **تعليم الرب يسوع المسيح نفسه،** وإلى **التصريحات العلنية** عن مجده وقوته ومساواته للآب في كل شيء. فكيف نستطيع أن نقف أمام هذه الحقيقة التي جعلت تسابيح الكنيسة واعتراف الآباء الرسل والآباء معلمي الإيمان يجدون تفسيراً للرموز في نور الحقيقة؟

لم يكن عبثاً أو من قبيل المبالغة أن توصف والدة الإله باسم: "أم النور" أو يبدأ قانون الإيمان النيقاوي: "نُعظمك يا أم النور الحقيقي...". لقد جاء النور الفائق، الذي لا يُدركه عقل ولا يخضع لمقاييس المنطق أي منطق العقل غير المستنير بالروح القدس، وكان من الضروري تثبيت التعليم بكل ما هو في طاقة وفي مجال الحياة الكنسية. ولذلك السبب، ومن أجل "الحق المتجسد"، جاء شرح الرموز بالأسلوب الذي نراه في صلواتنا، وكذلك في صلوات سائر الكنائس الأرثوذكسية مثل "مديح والدة الإله" الذي يُرتل في

كل الكنائس البيزنطية. ولو استطعنا أن نقرأ صلوات الكنيسة السريانية الأرثوذكسية التي نالت أكبر غِنَى روحي بسبب الشعر الأرثوذكسي الفاخر لمار أفرام ومار يعقوب السروجي وغيرهما من شعراء السريان، لوجدنا نفس الحقيقة الأرثوذكسية التي تُعبر عنها أناشيد الكنيسة القبطية، وأحياناً بذات الكلمات وبذات قوة ودقة التعبيرات.

ثانياً: إننا حسب الإيمان الأرثوذكسي يجب أن نبدأ بالثالوث، فهو أساس كل ما يمكن أن نقوله عن أي شيء في المسيحية الأرثوذكسية. وهكذا نقول عن العذراء:

[الآب اختاركِ،

الروح القدس ظللكِ،

الابن تنازل وتجسد منكِ].

وقبل أن نسأل، يجب أن نحدد إيماننا: هل هو إيمان **بالثالوث،** وإيمان **بتجسد الابن،** وإيمان **بسُكنى الروح القدس** في الكنيسة الجامعة؟ لأن الذي جعل العُليقة رمزاً لتجسد الرب هو **مجيء الروح القدس بعلاقة جديدة** تشرح وتُعلن لنا الرموز وتؤكد عطية ا التي وصفها الرسول بولس بأنها "بلا ندامة".

هكذا وقف ناسك قبطي استوعب في قلبه تراث الكنيسة أمام العُليقة وأدرك بحس آبائي أن **العذراء هي أُم الكنيسة كلها،** لأن التسبحة السنوية تقول ذلك في صراحة وبلا استعارة أو مجاز، بل بقوة العلاقة السرية **mystical** التي أُعلنت في المسيح. وهكذا بدأ يرتل:

[السلام للقديسة مريم أُم جميع الأحياء.] **(ثيئوطوكية الثلاثاء)**

[يا مدينة ا أنتِ مسكن جميع الفرحين.] **(ثيئوطوكية الأربعاء)**

[أنتِ هي السحابة الخفيفة التي دلتنا على مطر استعلان ا .]

(المرجع السابق)

[السلام للفردوس الناطق للمسيح الذي صار آدم الثاني من أجل آدم الإنسان الأول.] (المرجع السابق)

[السلام للعبدة والأُم والسماء التي حملت جسدياً الذي على الشاروبيم.] (المرجع السابق)

[هذه هي أورشليم مدينة إلهنا وفرح جميع القديسين كائنٌ فيها.]

(المرجع السابق)

[يا لعمق غِنَى وحكمة ا ، لأن البطن الواقع تحت الحكم وولد الأولاد بوجع القلب، صار ينبوعاً لعدم الموت.

ولدتِ لنا عمانوئيل بغير زرع بشر ونقضتي فساد جنسنا.]

(ثيئوطوكية الخميس)

[أنتِ أيضاً أؤتمنتِ على سعة السماء والأرض، وصرتِ لنا سبباً للارتقاء إلى السماء.] **(ثيئوطوكية الجمعة)**

[أيتها غير الدنسة العفيفة القديسة في كل شيء التي قدمت لنا ا محمولاً على ذراعيها.] **(ثيئوطوكية السبت)**

[لأن من قِبَل ثمرتكِ أدرك الخلاص جنسنا وصالحنا ا مرة أخرى من قِبَل صلاحه.] **(المرجع السابق)**

[السلام للإناء غير الفاسد الذي للاهوت المعطي الشفاء لكل مَن يشرب منه.] **(ثيئوطوكية السبت)**

من هي هذه الأم؟ وهل هي ولدت الرب ولادة حسب ناموس الزواج أم أنها ولدته **حسب الروح القدس** بدون زرع بشر؟ فالميلاد البتولي هو أساس أمومة والدة الإله، لأن الروح القدس يلد كل المؤمنين في الميلاد الجديد الذي من فوق، ومثال هذا هو تجسد رب المجد نفسه يسوع المسيح.

وهذه هي شهادة مار أفرام السرياني:

[مريم مثل الكنيسة،

العذراء التي أنجبت بالإنجيل باكورة الثمار.

عن الكنيسة عاينت مريم المسيح الحي القائم.

مباركٌ الذي أعطى الفرح لمريم وللكنيسة.

لندعو الكنيسة مريم،

لأنها تستحق أن تُدعى بالاسمين معاً.][12]

وفي شرح الإنجيل الرباعي الذي نظمه تاتيان من الأناجيل الأربعة في

(12) "ميمر على أسبوع آلام الرب"، نشر النص السرياني **E. Beck** في السلسلة: **Corpus Scriptorum Christianorum Orientaleum**، جامعة لوفان 1979، ص 181.

سياق واحد، عُرف باسم: "الدياطسرون **Diatessaron**"؛ يقول مار أفرام إن الكنيسة هي مريم، ومريم هي الكنيسة:

[لقد سار على المياه (مت 14: 25-31)،

وظهر في السحابة (مت 17: 5).

عتق الكنيسة من الختان،

حل يوحنا البتول محل يشوع بن نون.

واستودع مريم الكنيسة ليوحنا (يو 19: 25-27)،

كما استودع موسى القطيع كله ليشوع.][13]

والرابطة القوية بين مريم والكنيسة ليست من اختراع عقل شاعر عظيم، بل هي كما سنرى من هذه الكلمات – هي الإفخارستيا، لذلك يقول **مار أفرام**:

[تعطي الكنيسة لنا الخبز الحي،

عِوَضاً عن الفطير الذي أعطته مصر.

أعطتنا مريم الخبز الحي،

عِوَضاً عن خبز الشقاء الذي ورثته حواء لنا.][14]

---

(13) "الإنجيل الرباعي 12: 5"، نُشر في سلسلة:
Sources Chretiennes, Vol. 121, p. 216.

(14) نشيد على خبز الفطير 6: 6و7، السلسلة السابقة، 249، ص 11.

ويقول **مار يعقوب السروجي** عن والدة الإله والكنيسة وسر الميلاد السمائي الفائق:

[من جنب آدم وُلدت العذراء حواء،

ومن مريم العذراء وُلد المسيح،

وُلدت الكنيسةُ العذراء.

حواء حسب النبوة

كانت أُم كل حي.

أليست المعمودية هي أُم الحياة؟

وَلدت العذراء (حواء) من آدم أبناءً وبنات للموت،

لكن الكنيسة العذراء تلد أحياء روحيين،

لأن جنب الرب وَلَدَ الكنيسة،

وهو يلد عديمي الموت.][15]

وهنا تُبرز ثيئوطوكية الجمعة هذا الإيمان:

---

(15) نشر النص السرياني في:

Bedjan, *Homiliae Selecta Mar Jacobi*, Vol. 3, p. 300.

راجع دراسة **S. Brock** عن الأسرار التي فاضت من جنب يسوع المطعون على الصليب: **Sobornost, 1:2, 1979, p. 57.**

[السلام للكنيسة بيت الملائكة،

السلام للعذراء التي ولدت مخلصنا].

ثم نختم هذا الفصل بالتعليم الآبائي الكنسي بأنه حينما حل الكلمة في كائن بشري مفرد (وهو المسيح) يكون قد حل في الكل:

والقديس كيرلس الكبير يشرح هذه الحقيقة بأوضح صورة وهو يُفسر آية إنجيل يوحنا (1: 14)، حينما يقول:

[إن التأكيد على أن الكلمة "حل فينا" هو نافع، لأنه يُعلن لنا أيضاً **سرا عميقاً جداً، لأننا كنا كلنا في المسيح.** فالعنصر المشترك للبشرية قد تركز في شخصه، وهذا هو السبب في تلقيبه بآدم الأخير: فهو أَغْنَى طبيعتنا البشرية المشتركة بكل ما يوصل لها الفرح والمجد، بعكس ما فَعَلَ آدم الأول إذ أفقرها بكل ما أتى بها إلى الفساد والحزن.

وهذا هو بالتحديد السبب في **أن الكلمة حل فينا كلنا حينما حل في كائن بشري مفرد (وهو المسيح)،** لأنه من خلال هذا الواحد الذي «تعين ابن ا بقوة من جهة روح القداسة» (رو 1: 4)، فإن كل البشرية ترتفع إلى قامته، حتى أن الآية القائلة: «أنا قلتُ إنكم آلهة وبنو العلي كلكم» (مز 82: 6)، كرر ذِكرها المسيح (يو 10: 34)، ومن خلال تطبيقها على واحد منا (الذي هو المسيح) تنطبق علينا جميعاً...

وهكذا يحل (ويسكن) في الجميع، لما حَل وسكن في هيكلٍ واحد

مأخوذ منا ولأجلنا، **إذ احتوانا كلنا في نفسه** "لكي يُصالحنا **جميعاً في جسد واحد** مع ا الآب" كما يقول بولس الرسول في (أف 2: 16و18).][16]

حقّا، إن بيت لحم **مسقط رأس** الخليقة الجديدة، أي الطبيعة البشرية التي اتحد بها ابن ا الكلمة في بطن العذراء، وطهرها وقدسها، ومنها وفيها تجددت خلقتنا جميعاً.

***

يقول الرسول محذراً إيانا: «**قارنين الروحيات بالروحيات**» (1كو 2: 13)، وما أبشع أن نُقارن ما هو سمائي بما هو جسداني، وأن نخلط بين الولادة الجسدانية التي تؤدي للموت والولادة الروحية التي تؤدي للحياة. صار الرب البكر بين إخوة كثيرين.

وهكذا ندخل إلى المبحث الثاني: **"البكر".**

---

(16) عن شرح إنجيل يوحنا 1: 14.

الْبَابُ الثَّانِي

الْبِكْر

prwtÒtokoj

المعنى اللغوي والتاريخي لكلمة "البكر"

البكر: كلمة شائعة في العالم القديم، وردت حسب صورتها اليونانية في الترجمة السبعينية (يُرمز لهذه الترجمة دائماً بالأرقام اللاتينية **LXX**، أي رقم 70)، 130 مرة. ولها دلالة هامة في النصوص الخاصة بالوراثة والبركة، وكذلك 74 مرة في التوراة (تكوين – خروج – لاويين... الخ). والصورة اللفظية العربية "بكر" لا تختلف عن الصورة اللفظية العبرانية. ومن كلمة "البِكْر" اشتُقت كلمة "البكور" أي ثمار الأرض وما يُولد من الحيوانات، لأن أول الثمار يكون دائماً خالق الكل، ولذلك تُرجمت كلمة "بكور" إلى **prwtog□nnhma**، لأن هذه تقدمة مقدسة للرب: «لا تُؤخر ملء بَيْدَرك، وقَطْرَ معصرتك، وأبكار بنيك تُعطيني. كذلك تفعل ببقرك...» (خر 22: 29-31)، (راجع أيضاً: خروج 34: 19، عدد 18: 15).

كان الابن البكر ينال ميراث أبيه كما هو معروف لدى كل قارئ، وخير مثال هو إسحق، ويعقوب الذي أخذ ميراث "عيسو"، وسوف نعود إلى هذه النقطة في الصفحات التالية.

وردت الكلمـة في العهد الجديد **أولاً** لتؤكد أن **المسيح هـو البكر** (لو 2: 7)، ولكن تشير من طرف خفي إلى حقه في ميراث يعقوب وإلى ضرورة أن يُقدم المولود يسوع لخدمة الرب حسب نص الإنجيل: «صعدوا به إلى أورشليم ليُقدموه للرب، كما هو مكتوبٌ في ناموس الرب» (لو 2: 22 وما بعده) حسب نص سفر الخروج (13: 2).

الفصل الثاني

المعنى اللاهوتي لكلمة "البكر"

إذا كانت كلمة "البِكْر" مثل كل مفردات اللغة وُلدت من خلال الاستعمال الظاهر أي الولادة من الأب والأم، فإن الكلمة دخلت في صميم العلاقة بين ا والإنسان لكي ترتفع فوق المعنى الجسداني والحسي المعروف، إلى علاقة التبني. ولذلك دُعي شعب ا باسم واحد وهو: "**ابني البكر**" (تث 32: 8، عاموس 9: 7، إش 19: 25). هذه العلاقة الروحية البحتة سببها دعوة ا له واختياره ليكون بركة لشعوب الأرض كلها، ولكي يُعطي الشعوب الأخرى بركة الدخول إلى بركة إبراهيم. ولذلك يقول المزمور عن "**الملك**" الذي نال الوعد من ا : «أنا أيضاً **أجعله بكراً أعلى من ملوك الأرض**» (مز 89: 27)، لأنه سينال "الملكوت" وليس فقط الأرض لأنه "**مسيح الرب**" (مز 2: 6)، وهذا حق البكر حسب نص سفر التكوين 25: 32، وسفر التثنية 21: 7.

المسيح يسوع البكر

يقول الرسول بولس في (رو 8: 29) عن الرب يسوع: «لأن الذين سبق فعرفهم، سبق فعينهم ليكونوا مُشابهين صورة ابنه، ليكون هو بكراً بين إخوة كثيرين». وأول ما يجب أن نلاحظه هو:

1. **المسيح هو البكر والوارث الحقيقي** لكل حق البكر حسب الشريعة.

2. "**بين إخوة كثيرين**"، وحرفياً حسب النص اليوناني: "في إخوة كثيرين" prwtÒtokon ™n pollo‹j ¢delfo‹j.

إنه **رأس الجماعة من الإخوة الكثيرين** الذين سينالون الحياة معه في المُلك وفي الوراثة الخاصة بالخليقة الجديدة. ويؤكد ذلك الرسول نفسه عندما يصف الرب يسوع بأنه "البكر من الأموات" (كو 1:18)، لأننا معه وفيه سوف ننال الميراث الأبدي لأننا «سنكون مثله لأننا سنراه كما هـ و» (1يو 3: 2)، فهو «الذي سيُغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده». ولم يقف الرسول عند هذه العبارة بل أكدها قائلاً: **«بحسب عمل استطاعته أن يُخضع لنفسه كل شيء»** (في 3: 21). لأن الرب يسوع قال بفمه الإلهي: «دُفِعَ إلي كل سلطان في السماء وعلى الأرض»، ولذلك أمر الرسل القديسين: «اذهبوا، وتلْمِذوا... وعمدوهم» (مت 28: 19و20)، لأن له سلطان الحياة والموت الذي يُعبر عنه سفر الرؤيا: «لي مفاتيح الهاوية والموت» (رؤ 2: 18) بعد أن نزع سلطان الموت من إبليس (عب 2: 14-15).

لقد وُلدت الإنسانية الجديدة في مخاض الصليب الذي عبر عنه الرسول بطرس في يوم العنصرة **بكلمة: أوجاع الموت"** (أع 2: 24)، وهي ذات الكلمة المستخدمة للولادة (راجع أيوب 39: 1-2)، لأن الموت أُبيد، وبالموت على الصليب وُلدت الطبيعة الغالبة الموت التي أُعلنت بالقيامة وهي ذات الطبيعة الإنسانية التي ماتت، وهي ذاتها التي أُقيمت غالبة مجيدة، ولذلك **وُلد "البكر من الأموات"**، وُلد بمخاض أو وجع الصليب الذي هو وجع الموت (أع 26: 23).

وهنا يجب أن نلاحظ تداخُل المعاني الروحية أو اللاهوتية لكلمة "بِكْر" مع كلمة "البدء" «¢rc» وهو ما نراه بوضوح كاف في نص رسالة (كولوسي 1: 15-18)، لأن الرسول ذكر أن الرب هو "بكر كل خليقة"، وبعد ذلك قال: «هو رأس الجسد... الذي هو البداءة «¢rc»، بكر من الأموات» (وهنا - يقع شهود يهوه وغيرهم - في اعتبار أن البداءة هي بداءة زمانية، وكما يقولون في تجديفٍ صريح: "أول مَن خلقه ا ")، لأن "البدء" و"البِكْر" لا علاقة لهما **بالزمان** وإنما هي **الرتبة والوراثة** حسب نصوص العهد القديم. ومع أن هذا حدث في الزمان، إلا أن المسيح حسب الزمان والأيام وُلد بعد آدم حسب الحساب الكنسي بحوالي 5500 سنة، فهو ليس أول مَن خلقه ا ، بل هو أول مَن قام غالباً الموت، ولذلك فهو **"البكر من الأموات"،** وبعد هذا مباشرة يُلقبه سفر الرؤيا: **«رئيس ملوك الأرض»** (رؤ 1: 5). هذه الكلمات هي صدى لكلمات المزمور 89: 28، عن الملك الذي حلف الرب بقَسَم أن يكون "**نسله إلى الدهر يكون،** وكرسيه كالشمس أمامي..."، ولذلك ضاع من اليهود حق الوراثة لأنهم رفضوا الرب الوارث لكل ما في السموات وما على الأرض بسلطان كوسيط لكل مخلوق مهما كان في السماء أو على الأرض أخذ وجوده وحياته من المسيح، لأن كلمات الرسول بولس قاطعة: «الكل به وله قد خُلق» (كو 1: 16)، لأن كلمة "به" سهلة على شهود يهوه، ولكن كلمة "له" صعبة عليهم لأنها تؤكد **امتلاك المسيح للخليقة كلها السماوية والأرضية.**

البكر حسب شرح الآباء

هذا هو شرح **القديس يوحنا ذهبي** الفم لنص (رو 8: 29): «ليكونوا مُشابهين صورة ابنه...»:

[ما أعظم هذه الكرامة التي لا تُقاس، لأن ما هو للابن الوحيد بالطبيعة، ناله "إخوته" بالنعمة. ولم يكتفِ الرسول بأن يصفهم بأنهم مدعوون، بل أضاف تأكيداً آخر: "ليكون بكراً"، ولم يتوقف عند هذه العبارة بل أضاف إليها "بين إخوة كثيرين"، لكي يشرح ويوضح العلاقة التي آلت إلينا بسبب التجسد. فكل أعماله الخلاصية لم تقتصر عليه وحده بل آلت إلى البشر بالنعمة.

حسب اللاهوت، هو الابن الوحيد، ولكن ما أعظم العطايا التي أعطانا إياها - لا تشك في المستقبل - لأن الرسول زرع على أرضٍ جيدة التعليم الصحيح بقوله: "سبق فعينهم" أي من البدء.][17]

شرح **القديس غريغوريوس النيسي** هذا اللقب في مقالته "ضد أنوميوس **Contra Eunomium**"، وذكر أن اللقب استُعمل 4 مرات في رسائل القديس بولس الرسول وأنه في كل مرة ذُكر كان هناك ما يؤكد معنى اللقب. فهو أولاً: "بكر كل خليقة" (كو 1: 18)، وثانياً: "البكر بين إخوة كثيرين" (رو

---

(17) عظة 15 على رومية 8: 29.

8: 29)، وثالثاً: "البكر من الأموات" (كو 1: 18)، وأخيراً: "البكر" (عب 1: 6)[18].

بالطبع كان التفسير الأريوسي آنذاك سائداً، وكانت نقطة الضعف الأساسية في الشرح الأريوسي (كما هي الآن عند شهود يهوه) هي فصل اللقب "البكر" عن "تدبير" أو "خطة" ا للخلاص، أي صار الحوار والجدل يدور على معنى الكلمة "بكر" دون العودة إلى معناها في سياق وشرح **تدبير الخلاص.** ولذلك إذا قيل أن الرب هو "البكر من بين الأموات"، فهذا لا يجب أن يختلط في أذهان القراء مع لقب "الابن الوحيد"، لأن المسيح له المجد هو أول مَن قام غالباً الموت، بعكس كل الذين قاموا قبله وأقامهم هو فإنهم ماتوا بعد ذلك. ولذلك يقول **القديس غريغوريوس النيسي** شارحاً أساس التدبير:

[نحن نؤمن بوجود ثنائية في الخلق أي في خلق طبيعتنا؛ الأولى: هي أننا خُلقنا، والثانية: إننا جُددنا أي أُعيد خَلْقنا، ولم نكن في حاجة إلى الخلق الجديد والثاني لو أن الخليقة الأولى لم تقع في أَسْر "البُطْل" بالمعصية.][19]

ويُجيب القديس غريغوريوس النيسي على اعتراض الأريوسيين ويقول:

[إن الرب يسوع قبل تجسده: "أخذ تراباً من الأرض وخلق الإنسان

---

(18) ضد إنوميوس 3: 2-45.

(19) ضد إنوميوس 3: 2-5، المجلد 2: 68-69 من مجموعة القديس غريغوريوس، طبعة: **Jaeger and Langerbeck.**

الأول"، ولكن الآن يأخذ تراباً من العذراء، لا لكي يخلق إنساناً بل لكي يُعلن نفسه في هذا الإنسان، ولكي يكون بِكْراً بين الذين سوف يُخلقون من جديد. وكما خلق الأجساد في الخَلْق الأول، الآن يأخذ جسداً ويُحسب ضمن الذين لهم أجساد. ولذلك، وبسبب الخلق الجديد في المسيح، دُعِيَ "البِكْر" لأنه هو باكورة كل ما يخص الخليقة الجديدة.][20]

ويؤكد **القديس كيرلس الإسكندري** في رده على الأريوسيين في كتاب "الكنز" ضرورة التمييز بين "البِكْر" و"الابن الوحيد"، لأن البكر هو **لقب خاص بالخلق الجديد؛ أما الابن الوحيد فهو لقب خاص بعلاقة الابن الأزلية بالآب**:

[هو البِكْر من الأموات، لأنه أول مَن أقام الجسد أي جسده لعدم فساد وأخذه إلى السماء.][21]

لقد تجسد الابن الوحيد:

[لكي يفتح لنا طريقاً جديداً ويُجددنا مُعيداً خَلْقنا من جديد لعدم الفساد.][22]

وقد شرح الأب متى المسكين باستفاضة هذا الفرق بين "البـِكْر"

(20) المرجع السابق، 3: 2 - 52.

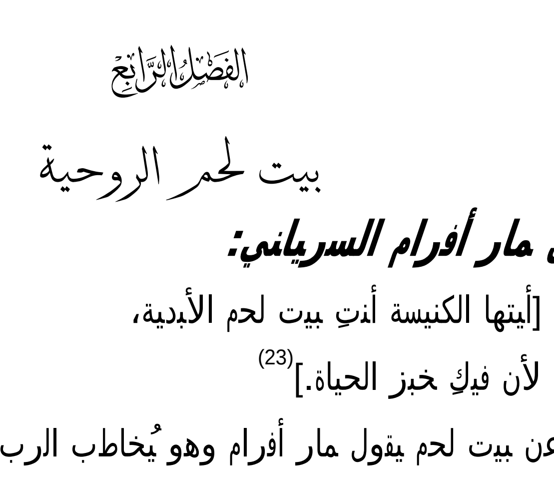
(21) PG 75: 405 b.

(22) PG 75: 280 b.

و"الابن الوحيد" في تعليم القديس أثناسيوس الرسولي، في مجلده الضخم: "القديس أثناسيوس الرسولي" (855 صفحة)، الطبعة الثانية، سنة 2002، من ص 222-432؛ صدر أولاً سنة 1981 في ذِكرى مرور 16 قرناً على نياحته.

فكيف حدث هذا؟

والجواب: في **بيت لحم**.



الفصل الرابع

بيت لحم الروحية

يقول مار أفرام السرياني:

[أيتها الكنيسة أنتِ بيت لحم الأبدية،

لأن فيكِ خبز الحياة.][23]

وعن بيت لحم يقول مار أفرام وهو يُخاطب الرب يسوع:

[صورتك المفرحة،

عطرك الفائق،

فمك القدوس،

يا ا   القدوس.

منك تتفجر الحياة،

خبزك حياة في بيت لحم،

بيت الخبز،

أنت حياة من حياة.

---

(23) *Hymns on the Nativity* 25:6 - الترجمة الإنجليزية:

Classics of Western Spirituality, 1989, trans. K. Mcvey, p. 201.

ما أعذب رائحة نسمة فمك،

ما أجمل طفولتك.

لقد صرت حقّا طعاماً

أيها الحنون.

أنت طعام السمائيين،

أنت تُعطي طعاماً للطيور،

أيها الطفل المولود من العذراء،

مباركٌ مَن يشتهي دمك.][24]

الميلاد البتولي هو أساس كل ما قيل وكُتب عند الآباء وفي صلوات الكنيسة، ولذلك يقول اللاهوتي الثاني بعد القديس يوحنا الرسول:

[مَن لا يقبل القديسة مريم والدة الإله قطع نفسه من اللاهوت **Godhead**، ومَن يدعي بأن المسيح عَبَرَ فقط من العذراء كمَن يمر في قناة وينكر أنه تكون **formed** في أحشائها بسر إلهي لأنه لم يكن ثمرة زواج... فهو بلا إله **Godless**.][25]

القديس غريغوريوس اللاهوتي

---

(24) S. Brock, *Bride of Light: Hymns on Mary*, 1994, p. 51.

(25) رسالة 101 - مجلد 37 - عامود 180.

إذن، أساس علاقتنا الجديدة في المسيح تبدأ بتجسد ابن ا ، ويقول **القديس أغسطينوس:**

[عندما تنازل ابن ا الوحيد وأخذ لذاته طبيعة إنسانية من العذراء، قرر أن يكون لنفسه كنيسة بلا دنس ولا عيب مثل مؤسسها الذي بلا دنس ولا عيب. عندما تجسد لم يأخذ فقط عذراء بلا دنس الجسد، بل أراد أن يكون له عذراء بلا دنس... لأن الكنيسة تتشبه بوالدة الإله في الروح (حسب الروح)، لأنها حسب الروح هي أُم وعذراء مثل مريم.][26]

هكذا يصبح التجسد هو أساس كل ما يُقال عن والدة الإله وعن الكنيسة وعن بيت لحم.

يقول القديس أوغسطينوس:

[هذه المرأة عينها، هي أُم وعذراء، ليس فقط بالروح، بل أيضاً بالجسد. هي حقّا أُم، ليس فقط لرأسنا أي مُخلصنا نفسه الذي وُلدت منه هي روحياً مثل كل الذين يؤمنون به، وهي ضمن الذين يؤمنون، بل أيضا أُم كل أولاد العريس وأُمنا نحن أيضاً لأننا جميعاً أعضاء جسده. فقد قبلت بمحبة أن يولد المؤمنون أعضاء جسد الرأس أي الكنيسة. وحقاً هي أُم الرأس نفسه حسب الجسد، لأنه كان

(26) عظة 191: 2و3 - مجلد 38 - عامود 1010.

لائقاً أن رأسنا يولد من عذراء حسب الجسد بولادة معجزية فائقة لكي يُعلن أن أعضاء جسده يولدون على نفس المثال حسب الروح من عذراء أي الكنيسة. مريم وحدها هي أُم وعذراء بالروح والجسد، هي أُم المسيح وعذراء المسيح. أما الكنيسة فهي حقًّا أُم المسيح بسبب ولادة القديسين منها الذين يدخلون الملكوت، والكنيسة عذراء المسيح.]()

وهكذا نحن نولد روحياً، وليس ولادة جسدية، من العذراء ومن الكنيسة، لأن لنا ميلاداً واحداً يجمع الكل.

ويقول القديس أمبروسيوس أسقف ميلان:

[مَن هي المرأة التي تشبه الكنيسة في كل الذين وُلدوا من الكنيسة؟ العذراء أُم كل الشعوب حسب أسرارها فهي التي أثمرت حتى قال عنها الكتاب: «ترنمي أيتها العاقر التي لم تلد، أشيدي بالترنم أيتها التي لم تَمْخَض، لأن بني المستوحشة أكثر من بني ذات البعل قال الرب» (إش 54: 1). وبسبب أمومتها لكل المؤمنين نرى كمال سر مريم والكنيسة، لأن الكلمات السماوية التي قيلت عن العذراء مريم والدة الإله عندما تجسد منها ا ، قيلت عن كل عصور الكنيسة، الأم والعذراء: «مباركة أنتِ في النساء، ومباركة هي ثمرة بطنكِ».][28]

---

(27) عن البتولية المقدسة 6: 6.

(28) عن البتولية 1: 6و31 - مجلد 16 - عامود 197.

لا نستطيع أن نضيف شيئاً لِمَا ذكره الآباء، لأن الميلاد الجديد يعود إلى "**البكر بين إخوة كثيرين**".

عودة إلى بيت لحم وتداخُل الرموز بسبب وحدة الأساس الإيماني للصلوات والاعتراف بالإيمان:

هل سمعت، أيها القارئ، ما يوصف عندنا باسم: "الشيرات"، وهو جزء مهيب ممتع يختم ثيئوطوكية يوم الأحد. ويبدأ بآدم الأب الأول، وينتهي بأليشع النبي، ثم يُعيد علامات الإيمان ورموزها: عصا هارون - البخور - تابوت العهد - قسط المنّ... الخ.

كيف صارت مريم **خلاص آدم**؟ والجواب:

[لبستِ الفرح والتهليل، وتمَنْطَقْتِ بالقوة يا ابنة صهيون،

يا مَن لبستِ لباس السمائيين حتى سترتِ آدم بلباس النعمة،

ورددتِه مرة أخرى إلى الفردوس موضع الفرح ومسكن الصديقين].

فقد عاد آدم ليس فقط بميلاد الرب، بل بموته وسَبْي الجحيم.

وأمام آباء مجمع أفسس 431م، وأمام حشد كبير اجتمع في كنيسة القديسة مريم والدة الإله، ألقى القديس كيرلس عمود الدين عظة نأخذ منها هذه الفقرة التي تتناغم مع كلمات التسبحة السنوية وهي أيضاً من "الشيرات":

[* سلام منا نحن لك أيها الثالوث القدوس الفائق الذي جمعنا كلنا

في كنيسة والدة الإله مريم كنز غِنَى فائق للعالم كله.

* المصباح الذي لا ينطفئ.

* إكليل البتولية، صولجان الأرثوذكسية، الهيكل الخالد الذي حل فيه غير المحْوَى.

* الأم والعذراء.

* أنتِ بكِ ومنكِ دُعِيَ الذي قالت عنه الأناجيل المقدسة: "مبارك الآتي باسم الرب".

* السلام لكِ يا مَن حملتِ الذي لا يُحوَى في رحمكِ البتولي المقدس.

* بكِ يُمجد الثالوث.

* بكِ تفرح السموات.

* بكِ تتهلل الملائكة ورؤساء الملائكة.

* بكِ تهرب الأرواح الشريرة وبسبب الذي حُبِل منكِ سقط الشيطان المُجرب من السماء.

* بكِ قام الساقطون ورُفعوا إلى السماء.

* بكِ عرف البشر الحق بعدما كانوا أسرى جنون الوثنية.

* بكِ آلت إلينا نحن المؤمنين المعمودية ومعها مسحة البهجة (الميرون).

* بكِ تُبنى الكنائس في المسكونة كلها.

* بكِ تابت شعوب.

* وماذا يمكن أن أضيف؟ أنتِ الذي منكِ أشرق جسدياً ابن ا ، النور الذي أنار على الجالسين في كورة الموت وظلاله (لو 1: 79).

* بكِ بشر الرسل بالخلاص لكل الشعوب.

* بكِ يقوم الموتى ويملك الملوك.][29]

هذه الفقرة توازي "الشيرات" في تسبحة الأحد: خلاص آدم، تهليل حواء، نعمة إبراهيم، كرازة موسى، كرامة صموئيل، فخر إسرائيل، ثبات أيوب، صديقة سليمان، خلاص إشعياء، شفاء إرميا، علم حزقيال، نعمة دانيال، قوة إيليا، نعمة أليشع. (الأبصلمودية المقدسة).

وأساس واحد بُنيت عليه كل هذه العبارات، وهو حقيقة تجسد ابن ا ، الذي جمع في أقنومه الإله والإنسان معاً، فأسس بذلك الخلاص الأبدي.

وبسبب الأساس الواحد الذي بُني عليه البناء الليتورجي والاعتراف بالإيمان، أي تجسد الكلمة، نرى العذراء:

[مدينة ا أورشليم،

جبل صهيون،

(29) عظة 4: 43 - مجلد 77 - عامود 992.

الهيكل أو القبة،

عصا هارون،

العُليقة].

ورموز كثيرة سوف يحين الكلام عنها. ولكن كل هذه الرموز تتداخل مع بعضها لتؤكد لنا حلول الابن في رحم البتول وسكناه فيها، ولادته من العذراء ومن الروح القدس، الحياة التي أعطاها إلينا، إنارته لحياتنا المظلمة، ميراث الحياة الأبدية، المعمودية، الميرون، الإفخارستيا، المذبح المسيحي، شبكة واحدة أو شجرة واحدة وكل فروعها تعود إلى جذر واحد، وهو اتحاد اللاهوت بالناسوت. ولذلك عاد آدم الأول إلى الفردوس، ونالت حواء الفرح، وبُنيت الكنائس، ويحل الروح القدس في الأسرار، ويعود الإنسان إلى ا الثالوث، لأن تجسد الرب أعطانا الصليب والقيامة ودخول السموات وإبادة الموت وانسكاب الروح القدس.

***

وماذا يمكن أن نقول بعد كل هذا؟

تعالَ وانظر وسبح مع الآباء والأنبياء! لأن العذراء في الكنيسة كما أن الكنيسة في العذراء، ليس حسب الجسد، بل حسب السماء وحسب الروح القدس وعطية ا التي تحتاج إلى أن نأخذ وصية الرسول بكل جدية:

«قارنين الروحيات بالروحيات»

وهذا هو الأساس الآبائي الراسخ الذي بنى عليه الأب متى المسكين كل ما كتبه عن التجسد والعذراء والكنيسة ونعم التجسد الوافرة الزاخرة التي

انسكبت على البشرية.